

تفسير السمعي

@ 59 @ كيف بكى يعقوب كل هذا البكاء وحزن هذا الحزن ، وهل أصيب إلا بفقد ولد واحد ،
أفما كان عليه أن يسلم الأمر إلى الله تعالى ويصبر ؟ الجواب عنه : أنه امتحن في هذا بما
لم يمتحن به غيره ، ولم يسأل عن يوسف مع طول الزمان ، وكان [ابتلاؤه] فيه أنه لم يعلم
حياته فيرجو رؤيته ، ولم يعلم موته فيسأل عنه ، وكان يوسف من بين سائر الإخوة خص
بالجمال الكامل (والعقل) وحسن الخلق وسائر ما يميل القلب إليه . وروي عن الحسن
البيصري أنه مات أخوه فيكى عليه بكاء شديدا فسئل عن ذلك ؟ فقال : سبحان من لم يجعل
الحزن عارا على أهله ، وقرأ قوله تعالى : (إنما أشكو بثي وحزني إلى الله) . وروي
حبيب بن أبي ثابت قال : لما كبر يعقوب وطال عليه الحزن سقط حاجباه على عينيه من الكبر
فكان يرفعهما بخرقه ، فدخل عليه بعض جيرانه وقال : ما الذي بلغ بك ما بلغ ولم تبلغ سن
أبيك بعد ؟ قال : طول الزمان وكثرة [الأحزان] ، فبعث الله إليه جبريل - عليه السلام -
وقال : يا يعقوب ، شكوتني إلى خلقي ؟ ! فقال : خطيئة فاغفرها لي يا رب . فغفرها الله له
، وكان بعد ذلك إذا سئل عن حاله قال : ' إنما أشكو بثي وحزني إلى الله ' وعن وهب بن منبه
: أن الله تعالى أوحى إلى يعقوب - عليه السلام - فقال : أتدري لم عاقبتك وفرقت بينك وبين
ولدك ؟ قال : يا رب لا ، فقال : لأنك ذبحت شاة وشويتها وقترت على جارك وأكلت ولم تطعمه ؛
وقد روى أنس ، عن النبي قريبا من هذا أورده الحاكم أبو عبد الله . وفي خبر أنس : ' أن
الله تعالى قال ليعقوب : اتخذ طعاما وادع إليه المساكين ، ففعل وكان بعد ذلك إذا تغدأ أمر
من ينادي : من أراد الغداء فليأت يعقوب ، وإذا أفطر أمر من ينادي : من أراد أن يفطر
فليأت يعقوب ، فكان يتغدى معه القوم الكثير ، ويتعشى معه القوم الكثير من المساكين ' .
وفي القصة : أن سبب ابتلاء يعقوب أنه ذبح عجلا بين يدي أمها وهي تخور . وعن عبد الله بن
يزيد وابن أبي فروة : أن يعقوب - عليه السلام - كتب كتابا إلى